

الأسماء الثلاثة الإله، الرب، والعبادة

(53) مجرّداً عن الخضوع العملي أو اللفظي، يستلزم كون صاحبه مشركاً في العقيدة لا مشركاً في العبادة، وإنّما يكون مشركاً فيها إذا انضمّ إلى العقيدة، خضوع عملي كما أنّ مجرّد الخضوع النابع عن الحب والعطف، يكون تكريماً و تبيلاً، و خضوعاً و تذلاًّ لا عبادة، و ربما يكون حلالاً و مباحاً و يعدّ مَظْهَراً للتكريم و سبباً لإظهار الحبّ و الودّ، و ربما يكون حراماً كالسجود للمحبوب بما أنّه جميل، لا لأنّه إله و ربّ أو بيده مصيره، و مع ذلك فالسجود لمثله حرام حسب ما ورد في السنّة و إن لم يكن عبادة و كونه مثلها في الصورة لا يُدخله في عنوانها لأنّ العبرة بالنيّات و البواطن، لا بالصور و الظواهر. أمّا العنصر الثاني: فلم يختلف في لزوم وجوده اثنان إنّما الكلام في مدخلية العنصر الأوّل في صدق العبادة و دخوله في واقعها و نحن نستدل على مدخليته بطريقتين: الأوّل: التمعن في عبادة الموحّدين و المشركين إنّما لالامعان في أعمالهم، يدلّ بوضوح على أنّ خضوعهم جميعاً لم يكن منفكاً عن الاعتقاد بألوهية معبوداتهم و ربوبيتها و كانت تلك العقيدة هي التي تَجَرُّهُمْ إلى الخضوع و التذلل أمامها ولولاها لم يكن لخضوعهم وجه ولا سبب فالموحّد يخضع أمام الله لاعتقاده بأنّه خالق، باريّ، مبدع، و مصور، مدبّر، و متصرّف، و بكلمة جامعة: إنّّه إله العالمين إلى غير ذلك من الشوآن، فمن هذا الاعتقاد، ينشأ الخضوع و التذلل، والمشرّك يخضع أمام الأصنام والآوثان، أو الأجرام السماوية، لاعتقاده بأنّها آلهة و أرباب بيدها مصيره في الدنيا و الآخرة و لذلك كانوا يستمطرون بها، و يطلبون منها الشفاعة والمغفرة و بذلك صاروا آلهة و أرباباً. إنّ الموحّد يرى أنّ العزّة بيد الله سبحانه و هو القائل عزّ من قائل: "فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً" (فاطر|10) "وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ" (آل عمران|26)